(( **الدفع بالتي هي أحسن** ))

عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف :

<http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب :

 <https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3_Hje4JaCw>

 الأولى

لو طفت على كتب التاريخ والأدب والقيم، ولو وقفت على كتب العظماء والفضلاء، فلن ترى أعظم ولا أروع ولا أحسن من خلق رسول الله .

يَكْفِيْكِ عَنْ كُلِّ مَدْحٍ مَدْحُ خَالِقِهِ

وَأَقْرَأُ بِرَبِّكَ مَبْدَأَ سُوْرَةُ الْقَلَمِ

ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ القلم: ٤

بالله عليك تأمل هذا الموقف، موقف كله عبرٌ ناطقة، وخلق رفيع، وعفوٌ كريم، وصبرٌ كبير.

موقف يفسر بجلاء قول الله تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ فصلت: ٣٤

يخرج النبي من بيته وقد ارتدى رداءاً نجرانياً غليظاً على عنقه، وإذا برجل من الأعراب يعترض بكل جفاء وعنف، رافعاً صوته، عنيفاً في خطابه، غليظاً في كلامه، بل تجاوز الأدب والخلق، فجذب النبي بردائه جذباً شديداً.

يقول أنس > وهو الذي يحكي هذا الحدث العظيم وعاش تفاصيله : " كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ، وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللهِ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ، مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ". متفق عليه.

الله أ كبر الله أ كبر..

وفي رواية أن الأعرابي َقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَعْطِنِي، فَإِنَّكَ لَا تُعْطِي مِنْ مَالِكِ وَلَا مِنْ مَالِ أَبِيكَ، وَأَغْلَظَ لِلنَّبِيِّ ، فَوَثَبَ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا: يَا عَدُوَّ اللَّهِ تَقُولُ هَذَا لِرَسُولِ اللَّهِ ؟

فَقَالَ: «عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ لَمَّا أَمْسَكْتُمْ»،

فَدَعَاهُ فَدَخَلَ بَيْتَهُ فَأَعْطَاهُ فَقَالَ: «أَرَضِيتَ؟»

قَالَ: لَا، ثُمَّ أَعْطَاهُ أَيْضًا، فَقَالَ: «أَرَضِيتَ؟»

قَالَ: لَا، ثُمَّ أَعْطَاهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: «أَرَضِيتَ؟»

قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاخْرُجْ إِلَى أَصْحَابِي فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّكَ قَدْ رَضِيتَ؛ فَإِنَّ فِي قُلُوبِهِمْ عَلَيْكَ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " أَتَدْرُونَ مَا مَثَلِي وَمَثَلُ هَذَا الْأَعْرَابِيِّ؟

مَثَلُ رَجُلٍ فِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، مَعَهُ زَادُهُ وَرَاحِلَتُهُ فَنَفَرَتْ رَاحِلَتُهُ فَاتَّبَعَهَا النَّاسُ، فَمَا زَادُوهَا إِلَّا نُفُورًا، فَقَالَ: دَعُونِي فَإِنِّي أَعْلَمُ بِنَاقَتِي مِنْكُمْ، فَعَمَدَ إِلَى قُمَامِ الْأَرْضِ - يَعْنِي الْحَشِيشَ - فَجَعَلَ يَقُولُ لَهَا: هُوِّي هُوِّي، حَتَّى رَجَعَتْ، فَأَنَاخَهَا فَحَمَلَ عَلَيْهَا زَادَهُ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى مَتْنِهَا، فَلَوْ تَرَكْتُكُمْ حِينَ قَالَ مَا قَالَ فَقَتَلْتُمُوهُ، دَخَلَ النَّارَ فَمَا زِلْتُ حَتَّى فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ وَقَالَ مَا قَالَ "أمثال الحديث لأبي الشيخ الأصبهاني (ص: 301)

مــن أينَ أبدأ ُوالحديثُ غــرامُ ؟

فالشعرُ يقصرُ والكلامُ كلامُ

مــن أينَ أبدأ ُفي مديح ِمحمـــــــدٍ ؟

 لا الشعرُ ينصفهُ ولا الأقلامُ

هو صاحبُ الخلق ِالرفيع ِعلى المدى

هو قائدٌ للمسلمينَ همـــــــامُ

هو سيدُ الأخلاق ِدون منافـــــــــس ٍ

 هو ملهمٌ هو قائدٌ مقــــــدامُ

يا كرام إنك لا تدري مما تعجب؟

تعجب من هذا الأعرابي الذي أساء وزلّ على رسول الله في قوله وفعله؟

أم تعجب من أخلاق هذا النّبي العظيم ؟

يا رجل توقف لحظة! تأمل هذا الموقف!

والله تعجز الكلمات، ويقف البيان عن صياغة هذا الموقف.

بالله عليك من يطيق هذا التصرّف الذّميم من هذا الأعرابي؟

من يتحمل هذا الأذى؟

من يصبر على هذا العنف والاعتداء؟

جذبة شديدة أمام أصحاب رسول الله ، شقّت رداءه، وآثرت في صفحة عنقه، ونداء بجفاء، وطلب بإلحاف.

بالله كثّف هذه الصورة في ذهنك!

فكّر في ردّة الفعل التي يردّ بها أعظمنا خلقاً!

ثمّ تأمل في خلق نبيّك وهو يضحك، بل ويأمر بالعطاء، بل ويسترضيه.

إنها الروعة المحمديّة، والخلق العظيم.

صدق الله تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ فصلت: ٣٤

إذا جاءتك سيئة فادفعها بالتي هي أحسن.

والنتيجة: ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛﭼ

يا مَنْ تُضايقُه الفِعال  **\*\*\*\*** مِنَ الّتي ومِنَ الّذي

ادفعْ فديتُك "بالّتي" **\*\*\*\*** حتى ترى "فإذا الّذي"

ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﭼ فصلت: ٣٤ - ٣٥

صبروا عـلى الأذى ..

صبروا عـلى ضبط النفس ..

صبروا عـلى مغالبة الشيطان ..

يا كرام إننا اليوم نعاني من خللٍ كبير في أخلاقنا

من جراء قسوتنا على بعضنا، أحقاد وضغائن، هجرٌ وقطيعة، شقاق وسوء أخلاق.

لماذا لا يتناسى الناس أحقادهم وأضغانهم؟

لماذا لا نرد السيئة بالحسنة؟

لماذا لا نجاهد أنفسنا للدفع بالتي هي أحسن؟

فالنفوس تنافرت، والقلوب تباعدت، والجيران والخلاّن تخاصمت، فأين الذي يدفع بالتي هي أحسن؟

يا كرام ألم نقرأ في كتاب ربّنا إلى صنيع نبي الله يوسف # وهو يدفع السيئة والجرم والعدوان بالتي هي أحسن، فمن حسدٍ وكيد إلى مكرٍ واغتيال، حتى أصبح رقيقاً، ثمّ سجيناً مشرّداً، ثمّ متّهماً بالفاحشة والسرقة، جرمٌ وجرائم، واعتداء وعدوان، وإذا بنبيّ الله يوسف # يقابل الإساءة بالإحسان، فجاء الرّد على إساءات اخوانه وجرمهم: ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓﯔ ﯕ ﯖ ﯗﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ

يوسف: ٩٢

لولا اشتعالُ النار فيما جاورت

ما كان يُعْرَفُ طِيب عَرْف العودِ

صدق الله ﭽ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﭼ فصلت: ٣٥

إذا جرحت مساويهم فؤادي

صبرتُ على الإساءةِ وانطويتُ

ورحتُ عليهمُ طَلْقَ المحيّا

كأني ما سمعتُ ولا رأيتُ

ما أحوجنا يا كرام إلى هذا الخلق الرفيع ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ فصلت: ٣٤

لو أن كل إساءةٍ قوبلت بمثلها لافترس الناس بعضهم بعضاً، ودبّت القطيعة والشحناء والكراهية بيننا.

إنّ من أعظم ثمرات الدفع بالتي هي أحسن أن ينقلب العدو الذي يجابهك بالسوء والأذى إلى صديقٍ حميم.

بالدفع بالتي هي أحسن، ينقلب الخصم إلى حبيبٍ ودود.

ادفع بالتي هي أحسن أمرٌ من الله لا تخيير فيه.

ادفع بالتي هي أحسن أمرٌ بالإحسان إلى من ظلمنا.

جاء رجلٌ وجلس بين يدي رسول الله يضج بالشكاية والعتاب يا رسول الله إنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ،

أشر علي يا رسول الله في هؤلاء القرابة من أهلي وإخواني ورحمي أصلهم ويقطعونني، أحلم ويجهلون، أحسن ويسيئون، أبني ويهدمون، أعطي ويمنعون، أزور ولا يزورون.

وكأنه ينتظر إشارة بالهجر والقطيعة، فيا ترى ما هو الجواب لرجل ذاق ألم القطيعة بأنواعها، وتجرع مرارة الهجر والجفاء؟

وإذا بالنبي يأخذ بيده إلى سورة فصلت وقول الله تعالى: ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ فصلت: ٣٤

«لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، تحسن ويسيئون، وتصل ويقطعون، وتحلم ويجهلون فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»

صحيح مسلم (4/ 1982)

الْمَلَّ أي: (الرماد الحار)

**أقول قولي هذا واستغفروا الله العظيم ..**

 الثانية

ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ فصلت: ٣٤

دعونا نختم بهذا الموقف النبوي الذي يرويه زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ > فيقول قبل إسلامه: لَمْ يَبْقَ مِنْ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ شيء إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثْنَتَيْنِ ، يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ ، وَلَا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا فَكُنْتُ قد أقرضته قرضاً ، فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ مَحَلِّ الْأَجَلِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَنَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَلَمَّا صَلَّى عَلَى الْجَنَازَةِ دَنَا مِنْ جِدَارٍ فَجَلَسَ إِلَيْهِ فَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ غَلِيظٍ ثُمَّ قُلْتُ أَلَا تَقْضِينِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي فَوَ اللَّهِ مَا عَلِمْتُكُمْ بَنِي عَبْدَ الْمُطَّلِبِ بِمَطْلٍ وَلَقَدْ كَانَ لِي بِمُخَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ قَالَ وَنَظَرْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعَيْنَاهُ تَدُورَانِ فِي وَجْهِهِ كَالْفَلَكِ الْمُسْتَدِيرِ ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ وَقَالَ:

أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ مَا أَسْمَعُ وَتَفْعَلُ بِهِ مَا أَرَى؟ فَوَ الَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَوْلَا مَا أُحَاذِرُ فَوْتَهُ لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي هَذَا عُنُقَكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ يَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ فِي سُكُونٍ وَتُؤَدَةٍ ثُمَّ قَالَ: "إِنَّا كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ يَا عُمَرُ أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التِّبَاعَةِ (القضاء) اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ فَاقْضِهِ حَقَّهُ وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ غَيْرِهِ مَكَانَ مَا رُعْتَهُ" قَالَ زَيْدٌ: فَذَهَبَ بِي عُمَرُ فَقَضَانِي حَقِّي وَزَادَنِي عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ؟

قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ مَا رُعْتُكَ فَقُلْتُ: أَتَعْرِفُنِي يَا عُمَرُ؟ قَالَ: لَا فَمَنْ أَنْتَ؟

 قُلْتُ: أَنَا زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ، قَالَ: الْحَبْرُ قُلْتُ: نَعَمْ الْحَبْرُ

قَالَ: فَمَا دَعَاكَ أَنْ تَقُولَ لِرَسُولِ اللَّهِ مَا قُلْتَ وَتَفْعَلُ بِهِ مَا فَعَلْتَ؟

فَقُلْتُ: يَا عُمَرُ كُلُّ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ قَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثنتين لَمْ أَخْتَبِرْهُمَا مِنْهُ: يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ ، وَلَا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا، فَقَدِ اخْتَبَرْتُهُمَا فَأُشْهِدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَأُشْهِدُكَ أَنَّ شَطْرَ مَالِي صَدَقَةٌ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ فَقَالَ عُمَرُ: أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ فَإِنَّكَ لَا تَسَعُهُمْ كُلَّهُمْ قُلْتُ: أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ فَرَجَعَ عُمَرُ وَزَيْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فقال زَيْدٌ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ". صحيح ابن حبان - مخرجا (1/ 522)

ادفع بالتي هي أحسن، وإيّاك ثمّ إيّاك أن تظن أن الإحسان إلى من أساء إليك ضعف، لا وربّ الكعبة بل هو شجاعة وعز.

ففي صحيح مسلم يقول « وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا».

وعاشرْ بمعروفٍ وسامحْ من اعتدى

ودافعْ ولكن بالتي هي أَحْسَنُ